

أضواء البيان

. @ 540 @

وما سواها : أي بالقدرة الباهرة ، والعلم الشامل . وذكرها بالمعنى الثاني ، فإنه في نظري أعظم من المعنى الأول ، وذلك أن القوى المدركة والمفكرة والمقدرة للأمور التي لها الاختيار ، ومنها القبول والرفض والرضى والسخط والأخذ والمنع ، فإنها عالم مستقل . . . وإنها كما قلنا أعظم مما تقدم ، لأن الجانب الخلقى قال تعالى فيه : { لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ } ، ولكن في هذا الجانب قال : { إِنْ زَلَّ عَرْضُنَا الْأَرْضَ مَازَنَةً عَلَيَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبْيَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَاهَا وَأَشْفَقْنَا مِنْهُهَا وَحَمَلْنَاهَا الْإِنْسَانَ إِنََّّهُ كَانِ طَلُوماً جَهُولاً } . . . ومعلوم أن بعض أفراد الإنسان حملها بصدق وأداها بوفاء ، ونال رضى الله تعالى رضى الله عنهم ورضوا عنه . . . فهذه النفس في تسويتها لتلقى معاني الخير والشر ، واستقبال الإلهام الإلهي للفجور ، والتقوى أعظم دلالة على القدرة من تلك الجمادات التي لا تبدي ولا تعيد ، والتي لا تملك سلباً ولا إيجاباً . . . وهنا مثال بسيط فيما استحدث من آلات حفظ وحساب ، كآلة الحاسبة والعقل الإلكتروني ، فإنها لا تخطئ كما يقولون ، وقد بهرت العقول في صفتها ، ولكن بنظرة بسيطة نجدها أمام النفس الإنسانية كقطرة من بحر . . . فنقول : إنها أولاً من صنع هذه النفس ذات الإدراك النامي والاستنتاج الباهر . . . ثانياً : هي لا تخطئ لأنها لا تقدر أن تخطئ ، لأن الخطأ ناشئ عن اجتهاد فكري ، وهي لا اجتهاد لها ، إنما تشير وفق ما رسم لها كالمادة المسجلة في شريط ، فإن المسجل مع دقة حفظة لها فإنه لا يقدر أن يزيد ولا ينقص حرفاً واحداً . . . أما الإنسان فإنه يغير ويبدل ، وعندما يبدل كلمة مكان كلمة ، فلقدرته على إيجاد الكلمة الأخرى ، أو لاختياره ترك الكلمة الأولى . . . وهكذا هنا ، فالله تعالى هنا خلق تلك النفس أولاً ، ثم سواها على حالة تقبل لتلقي الإلهام بقسيمة : الفجور والتقوى ، ثم تسلك أحد الطريقتين ، فكأن مجيء القسم بها بعد